الاحتراق الذاتي

في شَهر يوليو ١٩٥١ تَمّ الإبلاغ عن العثور على جُثّة السّيّدة «ماري ريزر» في وِلايَة ''فلوريدا'' الأمريكية، وكانت مُحترِقة بشَكلٍ شِبه كاملٍ، ولكن الغريب أنّ الشقة والأثاث لمْ يَتَأثرا بأيّ نَوعٍ من الحريق، باستثناء الكرسي الذي كانت تَجلِس عليه.

تمّ استخدام مُصطلَح (الاحتراق الذاتي) لأول مرة عام ١٧٤٦ في مَقالٍ عن المُعامَلات الفلسفيَّة في المجال الطِّبي، يُعرف اختصارًا بـ (SHC)[١] تُعتَبر هذه الظّاهِرة من أكثر الظواهر الطبية غُموضًا على مَرّ التاريخ؛ خاصّة أنّه تمّ تَسجيل أكثر من ٢٠٠٠ حالة شديدة الوضوح، ودون أيّة احتمالات أخرى غَيْر الاحتراق الذاتي.

تَكمُن غَرابة هذه الظاهِرة في درجة الحرارة الشّديدة التي لا يُمكِن توافُرها إلّا في أفران صَهْر المعادن؛ تصِل درجة الحرارة التي تَتسبّب في احتراق الضّحايا إلى ١٥٠٠ درجة مئوية.

(١) Spontaneous Human Combustion

حاوَل الطب الشَّرعي وَضع تفسيرات أو فَرضِيّات للحالات التي تمّ الإبلاغ عنها كحالات احتراقٍ ذاتيّ، بعضها تمّ نفيه لاحقًا.

كانت الفَرضيّة الأولى تعتمد على وجود مَصدرٍ خارجي تسبّب في احتراق الضحايا، فيما يُسمَّى عِلميًّا (تأثير الفتيل)، وهو يعني أنّ الضحايا كانوا بالقُرب من مصادر نارٍ، والتهمتهم النيران ببطءٍ بعد وَفاتِهم بالصدمة أو السَّكتة القَلبية، اعتمدوا في ذلك على اشتراك كلّ الضحايا في العَجْز الجسمي، مثل كِبَر السّن أو السّمنة المُفرِطة أو ضَعف البِنْية الشديد.

تمَّ استبعاد تلك الفَرضِية في بعض الحالات التي لَمْ يَكُن هناك أيّ مصدر حريق قريب من الضحية، وكذلك عدم احتراق أيّ شيءٍ آخر سوى الضحيّة بما فيها الأحذية أو الملابس.

اعتمدت الفَرضِيّة الثانية على تَشبُّع الجسم بكمية كبيرة من الكُحول، ساعدت الجسم على الاشتعال تِلقائِيًّا، خاصّة وجود ضحايا من مُدمِني الكُحول -لا يُمكِن للكحول أنْ يساعِد على اشتعال الجسم ذاتيًا، حتّى لو افترضنا تَشبُّع الجسم بكميةٍ كبيرة منه لأنّ الجسم حتمًا سيُصاب بتسمُّم الكحول ومن ثمّ الوَفاة قبل ارتفاع درجة حرارة الجِسم.

بعض الآراء أدانت غاز «الميثان» الموجود بالجسم، والذي من المُمكن -نظريًا- أنْ يتسبَّب في اشتعال الجسم بمساعدة

الدهون المُتراكِمة، حتّى لو افترضنا ذلك، فإنّ الماء الموجود بالجسم (حوالي ٧٠٪) سيتَكَفل بإطفاء الحريق.

ردّد المُشكِّكون في حُدوث تلك الظاهِرة –رغم إدراجِها بالمَراجِع الطبية– تساؤلات عن عَدَم حُدوث هذه الظاهِرة في أماكن عامّة، وأنّ ضحاياها من الأشخاص الذين يُعانون من الوِحدة.

أشهر الحالات وأكثرها غموضًا حالة "هنري توماس» والذي وُجِدت جُثته في جنوب ويلز[1] عام ١٩٨٠ مُحترِقة بالكامل، باستثناء جزء من إحدى الساقين لا زال بها الجَوْرب والحِذاء.

وعلى الجانب الآخر هناك عدة حالات تمّ تسجيلها ضِمْن ظاهِرة (الاحتراق الذاتي) ثُمّ تبَيّن وجود مصادر خارجية للاحتراق، آخِر هذه الحالات كانت في الهِند عام ٢٠١٣ .

حاوَلتُ جاهِدًا خلال الستة أشهر الماضية أنْ أعثُر على حالةٍ للاحتراق الذاتيّ في مِصر –مُستعينًا بأصدقائي من الأطباء الشَّرعيين– ولمْ أُفلِح في العثور عليها، رغم تأكُّدي من وجود حالةٍ واحدةٍ أو اثنتين قرأتُ عنهما يومًا ما.

يُذكَر أنّ جميع الحالات تشترك في أنّ الحَريق يُخلِّف وراءه رمادًا دُهنيًا ذا رائحةٍ كَريهة نفّاذة.

---

(١) ويلز: إحدى دول بريطانيا العُظمى (إنجلترا، أيرلندا، أسكتلندا، وويلز).